إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«كان الكلمة الله»

(١: ١-١٣)

تأليف: بروس مكلارتي

ظهر على غلاف مجلة «أخبار الولايات المتحدة والعالم»، «U.S. News & World Report»، التي تصدر بالإنجيلزية السؤال التالي: «من كان يسوع؟» وفي صفحاتها الداخلية ورد حوار أكاديمي عن الذي ندعوه «الرب»:

> في السنتين الماضيتين، تم تصوير يسوع كساحر وكشافي، وكمحرر ديني واجتماعي، وكفيلسوف قروي راديكالي. وقد أعطى كاتب ما نظرية تقول بان يسوع كان قائد جماعة مخطوطات بحر الميت في قمران، وبانه نجا من الصلب ومضى ليتزوج مرتين وصار أباً لثلاث أطفال.[١]

جاء بمجلة «نيوزويك Newsweek» الصادرة بالإنجليزية أيضاً موضوع غلاف مشابه في سنة ١٩٩٤، جاء هذا عن «موت يسوع». تركزت إحدى المقالات على مجموعة تتكون من سبعة وسبعون عالماً ليبرالياً اطلق عليها اسم «سمنار يسوع». يجتمع هؤلاء مرتين في السنة لكي يتحدثوا عن أرائهم عمن كان يسوع وعما فعل بالضبط. إحدى ممارساتهم الغريبة هي التصويت على صحة نصوص معينة في الأناجيل. يُعطَى لكل شخص أربعة بطاقات، عندما يحين وقت التصويت يلقون البطاقة المناسبة. البطاقات الحمراء تعني بانهم يؤمنون بان يسوع قال حقاً أو فعل ما يعبر عنه النص. والوردية تشير إلى انهم يظنون بان يسوع قال أو فعل شيء مثيل لما يصفه النص. واللون الرمادي يشير إلى انهم يشكون في ان يسوع قال أو فعل ما يعبر عنه النص، واللون الأسود يمثل يقينهم بان يسوع لم يفكر في شيء كما يصفه النص أو لم يقله أبداً. الخلاصة التالية التي توصلت إليها هذه المجموعة «سمنار يسوع» هي مثيرة للاشمئزاز، بل وتعتبر تجديفا!

> يسوع «التاريخي» هذا لم يجري أية معجزة، ولكن كان له لمسة الشافي، وموهبه لتخفيف أمراض نفسية عن طريقة القبول والمحبة. لقد دعى لمساواة ملكوت الله بكل ما في هذه الكلمة من معنى— ليس في يوم الدينونة، بل في الزمان الحاضر. أراد للناس أن يختبروا الله مباشرة بدون إعاقة من قبل سلطات الهيكل أو الدولة. فقتلته السلطات بعدما سبب اضطراب في أورشليم خلال عيد الفصح. استمر يسوع في العيش في قلوب أتباعه قديمهم وجديدهم، ولكنه لم يقم من الأموات جسدياً...

أصبحت هوية يسوع موضوع نقاش ليس في دوائر المتخصصون فحسب، بل أيضاً في البيوت، وفي المقاهي، وفي أركان الشوارع حول العالم كله! يتمسك البعض باعتقادهم بانه كان «إنساناً صالحاً». ويؤمن آخرون بانه كان «معلماً بارزاً». وآخرون أيضاً يؤكدون بانه «أحكم إنسان عاش على الاطلاق». لدى معظم

---

[١] جفري ل. شيلر، في مقالة بعنوان: «من كان يسوع؟» بمجلة «U.S. News & World Report» الصادرة بالإنجليزية (٢٠ ديسمبر ١٩٩٣) ص. ٦٢

الناس في العالم اليوم فكرة عما كان يسوع الناصري حقاً.

إذن، ما الذي نستنتجه من هذا الحوار؟ بينما لا اتفق مع الخلاصة التي تم الوصول إليها في المجلتين المذكورتين اعلاه، إلا انني اهتم جداً بالفكرة العامة عن يسوع، اني معجب بالحقيقة انه حتى بعد ألفين سنة من وجود يسوع على الأرض ما زال الناس يسألون عنه: «من كان هذا الإنسان؟» الخبر السار بالنسبة لنا هو ان إنجيل يوحنا يبدأ بإجابة قاطعة على ذلك السؤال!

الكلمة (١: ١-٥)

«في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (١: ١). لم يخبرنا يوحنا بشيء عن ميلاد وطفولة يسوع. وإنما بدأ «في البدء». بالنسبة للذين يعرفون العهد القديم تبدو هذه الكلمات كصدى تكوين ١: ١. لكي يصف يوحنا يسوع كان عليه أن يرجع إلى «البدء». يسوع كائن قبل أن يكون العالم.

الصيغة التي أُستخدمت لتقديم يسوع هي:«الكلمة». مع ان يوحنا لم يقل بان يسوع هو «الكلمة» الا عند الآيات من ١٤ إلى ١٨، إلا ان الآية ١ استخدمت هذا التعبير لتصفه. «الكلمة» التي هي «لوغوس λογος» في اللغة اليونانية كان لها معاني مختلفة بالنسبة لليهود والأمم. كان اليهود يعتبرون «الكلمة» كقوة الله الفعالة التي خلقت العالم وتحافظ عليها. هكذا تم الحديث عن «الكلمة» في الأصحاح الأول والثاني من سفر التكوين وفي إشعياء ٥٥: ٣ و١١. كان اليهود يتذكرون بان الله قال: «ليكن نور فكان نور» (تكوين ١: ٣). كلمة الله هي بالحقيقة قوية!

عندما كان الأمم يسمعون التعبير «الكلمة» كانوا يفكرون في الطريقة التي استخدم بها فلاسفة اليونان هذه الصيغة. كانوا يعتبرونها قوة مجهولة نظمت الكون وجعلته شيء ذات معنى. كما ذكر أحد المعلقين، بان معظم الناس كانوا يظنون عن «الكلمة» كما يظن الكثير منا اليوم عن «الانشطار النووي»[٢] بينما لا نستطيع ان نعطي وصفاً دقيقاً له، إلا اننا نعرف ما يكفي عنه للاعتراف به، ومخافته، والتحدث عنه أيضاً.

استخدم يوحنا «الكلمة» ليقدم بها يسوع، كان يصرح بادعاءات مذهلة لليهود والأمم على حد السواء. يسوع هذا الذي كان يكتب عنه هو تعبيرا عن مشيئة الله، القوة الفعالة خلف الكون، والقوة التي تحمل الحياة معاً. تقول الرسالة إلى أهل كولوسي ١: ١٥-١٧:

> الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلِق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.

مهما فكر به الناس عند سماعهم «الكلمة» لا شك انهم كانوا يدركون بان يوحنا عندما بدأ إنجيله بهذه الطريقة كان يصرح بادعاء جريء عن الشخص الذي كان يصفه. وبتعاقب سريع صرح يوحنا بان «الكلمة كان عند الله»، «وكان الكلمة الله»، «كل شيء به كان»، و«فيه كانت الحياة» (١: ١-٤). لم يكن يوحنا يحاول أن يقنع الناس بان يسوع كان معلماً عظيماً، أو إنساناً حكيماً، بل كان يعلن بان يسوع هو إله، وله طبيعة الله!

نور الحياة (١: ٦-٨)

بعد التصريحات المذهلة في الآيات الخمس الأولى تحدث يوحنا في الآيات الثلاث التي تلت عن يوحنا المعمدان. برغم ان معظمنا يعتبرون يوحنا المعمدان نبياً عظيماً كإيليا أو إرميا، إلا ان الناس في القرن الأول كانوا يعتبرونه أكبر من ذلك! كان يوحنا المعمدان مشهوراً وكان يتكلم بقوة، ولكي لا يظن الناس بانه المسيح المنتظر كان عليه ان يقول أحياناً «أني لست أنا المسيح» (يوحنا ١: ٢٠).

---

[٢] ليون موريس في كتابه بعنوان «الإنجيل كما كتبه يوحنا.»

بسبب مثل هذا الارتباك حدد كاتب هذا الإنجيل بان يوحنا المعمدان كان شاهداً مهماً ليسوع ولكن لا يجب الظن بانه كان يسوع: « {يوحنا} جاء للشهادة، ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور » (١: ٧ و٨). عندما قال الكاتب هذا عن يوحنا المعمدان كان يصرح بانه لا أحد، ليس ولا يوحنا المعمدان العظيم يقترب من أن يكون ما كان يسوع! يسوع وحده هو « الكلمة ».

المرفوض (١: ٩-١١)

إذا كان يسوع هو بالحقيقة كلمة الله، لماذا رفضه هذا العدد الهائل من الناس؟ تحدث يوحنا مباشرة عن هذه السخرية المحزنة عندما كتب: « كان في العالم وكُوّنَ العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (١: ١٠ و١١). رُفِضَ خالق العالم من قِبل العالم الذي خلقه! لم يدع يوحنا رفض يسوع المزعج من قبل العالم يمنعه من التمسك بالادعاءات التي صرح بها عنه في وقت سابق. صرح يوحنا بان رفض يسوع يعبر بالكثير عن حالة العالم عوضاً عن عظمة يسوع. يبقى يسوع « النور الحقيقي » (١: ٩)، حتى عندما يتحول عنه العالم المظلم!

رفض يسوع من قبل العالم الذي خلقه كالمثل التالي عن إنسان عاد إلى البيت بعد يوم من عمل قاسي:

> انه منهك بعد الجهد الذي بذله في ذلك اليوم، وقد فرح لانه انهى نهاره، وكان يتطلع إلى وصوله إلى البيت ويكون مع أسرته. وكان يخطو بسرعة عندما اقترب من البيت. تحسس في جيبه ليأخذ المفتاح، ولكنه لم يجده، لقد ضاع منه المفتاح. ولكن ذلك ليس بالمشكلة؛ فالأسرة موجودة في الداخل. ذهب إلى الباب الأمامي وقرع الجرس، ولكن لم يفتح له أحداً الباب ليدخل. كانوا في البيت ويعرفون انه يقف خارج الباب. سُحبت الستارة عن النافذة قليلاً ونظرت إليه العيون التي يعرفها هو تماماً، ولكنه تُرك واقفاً هناك.

لا يمكن حتى التفكير بتجاهل رأس الأسرة ورفضه بهذه الطريقة من قبل احباءه. ولكن هذا ما حدث تماماً ليسوع عندما جاء إلى العالم.

مخلص الإنسان (١: ١٢ و١٣)

مقدمة يسوع المثيرة من قبل يوحنا لم تنتهي بالرفض البغيض. ولكن بدلاً من ذلك انتهت برجاء الخلاص. لم يرفض الجميع يسوع. بل اختار البعض ان يتبعوا المعلم الذي كان من الناصرة، والذين كتب لهم يوحنا الإنجيل كانوا من بين أولئك. صرح يوحنا قائلاً: « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه » (١: ١٢). هذا هو السبب الذي كُتب من أجله إنجيل يوحنا. سيسمع البعض ويؤمنون (٢٠: ٣١)، والذين آمنوا ينالون الحياة باسم يسوع!

الخلاصة

هل كل هذا الحديث عن البدء و« الكلمة » والإيمان يؤثر في حياتنا اليوم ؟ طبعاً بكل تأكيد! انه يؤثر كل التأثير! يسوع ليس مجرد إنسان عادي. وليس مجرد معلم عظيم، أو نبي حكيم، أو قائد قوي، انه الله! إذا اخترنا ان نؤمن به سنكتشف سريعاً انه لا يوجد شيء في هذا العالم له أهمية كأهمية يسوع، ولا شيء في هذا العالم أهم من معرفته.

يسوع الذي تم الحديث عنه في إنجيل يوحنا هو الذي دعانا إليه للخلاص، وليس يسوع الخيالي الشائع بين عامة الناس. إذا كان هو مجرد إنسان، لما كان للدعوة معنى كبير. حتى ولو كان إنساناً عظيماً لا غير، تكون الدعوة أيضاً شيء يمكن ان نتجاهله، ولكن بما انه كلمة الله القدوس، فهل يتجاسر أحد منا ان يأخذ دعوته بعدم جدية؟

> وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله (١: ١٢ و١٣).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧